

سورة التكاثر

مكية وأياتها ثمان آيات

بين يدي السورة

* سورة التكاثر مكية ، وهي تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الحياة ، وتكالبهم على جمع حطام الدنيا ، حتى يقطع الموت عليهم متعتهم ، ويأتيهم فجأة وبغته ، فينقلهم من القصور إلى القبور . الموت يأتي بغتة والقبور صندوق العمل ، وقد تكرر في هذه السورة (الزجر والإنذار) تخويفا للناس ، وتنبئها لهم على خطئهم ، باشتغالهم بالفانية عن الباقية [كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون] .

* وختمت السورة الكريمة ببيان المخاطر والأهوال التي سيلقونها في الآخرة ، والتي لا يجوزها ولا ينجو منها إلا المؤمن ، الذي قدم صالح الأعمال.

اللغة :

[أهاكم] الإلهاء : الشغل والانصراف عن الشيء الهام إلى ما يدعو إليه الهوى ، وأصل اللهو الغفلة ثم شاع في كل شاغل ، قال الراغب : اللهو ما يشغلك عما يعني ويهم (التكاثر) [التباهي بكثرة المال والجاه وهو بمعنى المكاثرة

[المقابر] القبور جمع مقبرة ، والقبور جمع القبر ، قال الشاعر : أرى أهل القصور إذا أميتوا بنؤافوق المقابر بالصخور أبوا إلا مباحاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور.

التفسير :

[أهاكم التكاثر] أي شغلكم أيها الناس التفاخر بالأموال والأولاد والأحساب عن طاعة الله ، وعن الاستعداد للآخرة

[حتى زرم المقابر] أي حتى أدرككم الموت ، ودفنتم في المقابر ، والجملة خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ، قال القرطبي : المعنى شغلكم المباحاة بكثرة المال والأولاد عن طاعة الله ، حتى متم

ودفنتم في المقابر ((وقال ابن كثير : يقول تعالى : شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها ، عن طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت ، وزرتم المقابر وصرتم من أهلها)) .

[كلا سوف تعلمون] زجز وتهديد أي ارتدعوا أيها الناس ، وانزجروا عن الإشتغال بما لا ينفع ولا يفيد ، فسوف تعلمون عاقبة جهلكم ، وتفريطكم في جنب الله ، وإشغالكم بالفاني عن الباقي ؟

[ثم كلا سوف تعلمون] وعيد إثر وعيد ، زيادة في الزجر والتهديد أي سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفانركم ، إذا نزل بكم الموت ، وعانيتم أهواله وشدائده ، قال ابن عباس : (كلا سوف تعلمون) ما ينزل بكم من العذاب في القبر [ثم كلا سوف تعلمون] أي في الآخرة إذا حل بكم العذاب

[كلا لو تعلمون علم اليقين] أي ارتدعوا وانزجروا فلو علمتم العلم الحقيقي ، الذي لا شك فيه ولا امتراء ، وجواب [لو] محذوف لقصد التهويل أي لو عرفتم ذلك ، لما أهاكم التكاثر بالدنيا عن طاعة اله ، ولما خدعتم بنعيم الدنيا عن أهوال الآخرة وشدائدها ؟ كما قال (ص) " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " الحديث ، قال في التسهيل : وجواب [لو] محذوف تقديره : لو تعلمون لزدجرتم واستعدتتم للآخرة ، وإنما حذف لقصد التهويل ،

فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله كقوله تعالى [ولو ترى إذ وقفوا على النار] [لترون الجحيم] أي أقسم وأؤكد بأنكم ستشاهدون الجحيم ، عيانا ويقينا ، قال الألوسي : هذا جواب قسم مضمرة ، أكد به الوعيد ، وشدد به التهديد ، وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيما أي والله لترون الجحيم

[ثم لترونها عين اليقين] أي ثم لترونها رؤية حقيقة بالمشاهدة العينية ، قال في البحر : زاد التوكيد بقوله [عين اليقين] نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الأولى

[ثم لتسألن يومئذ عن النعيم] أي ثم لتسألن في الآخرة عن نعيم الدنيا ، من الأمن والصحة ، وسائر ما يتلذذ به من مطعم ، ومشرب ، ومركب ، ومفرش ، اللهم أرزقنا شكر نعمك يا رب العالمين .
البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان كالآتي :

1-الوعظ والتوبيخ [أهاكم التكاثر] فقد خرج الخبر عن حقيقته إلى معنى التذكير والتوبيخ.

2- التكرار للتهديد والإنذار [كلا سوف تعلمون 5 ثم كلا سوف تعلمون] وعطفه ب [ثم] للتنبية على أن الثاني أبلغ من الأول ، كما يقول السيد العظيم لعبده : أقول لك ، ثم أقول لك : لا تفعل ، ولكونه أبلغ نزل منزلة المغايرة فعطف بثم.

3- حذف جواب [لو] للتهويل [لو تعلمون علم اليقين] أي لرأيتم ما تشيب له الرءوس ، وتفزع له النفوس ، من الشدائد والأهوال.

4- الإطناب بتكرار الفعل [لترون] [ثم لترونها] لبيان شدة الهول.

5- الكناية [حتى زرتم المقابر] كنى عن الموت بزيارة القبور.

6- المطابقة بين [النعيم . والجحيم] .

7- توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات وهو من المحسنات البديعية.

تنبيه :

روى الترمذي عن عبد الله بن الشخير قال : انتهيت إلى رسول الله (ص) ، وهو يقرأ هذه الآية (أهاكم التكاثر) فقال : " يقول ابن آدم ، مالي ، مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت " ؟

لطيفة :

روى مسلم عن أبي هريرة قال : (خرج رسول الهم(ص) ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال ، : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالوا : الجوع يا رسول الله ، قال : وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما! فقوموا ، فقاموا معه ، فأتى رجلا من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته ، فلما رآته المرأة قالت : مرحبا وأهلا ، فقال لها رسول الله (ص) : أين فلان ! قالت : ذهب يستعذب لنا الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله(ص) وصاحبيه ، ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني ، فانطلق فجاءهم بعذق - عنقود - فيه بسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا ، وأخذ المدينة - السكين - فقال له رسول الله (ص) : إياك والحلوب ! فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العتق وشربوا ، فلما شبعوا ورووا ، قال رسول الله (ص) لابي بكر وعمر : والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم).